﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: 47]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

بعد ذكرِ الزّينةِ والأعمالِ الباقيةِ، ذكرَ اليومَ الذي يُنتفَعُ بتلك الباقياتِ الصّالحاتِ

بعد أن ذكرَ النَّظمُ الجليل ما يؤولُ إليه حالُ الدُّنيا مِن زوال زينتِها منَ المال والبنين؛ انتقلَ إلى الحديثِ عن أوائلِ أهوالِ يومِ القيامة، ذلك اليومُ الذي تنفعُ فيه الأعمالُ الباقياتُ الصّالحات، وليس الأموال ولا الأولاد[1]، وبعد "أن بيَّن لهم تعرُّضَ ما هم فيه مِن نعيمٍ إلى الزَّوال على وجْه الموعظةِ؛ أعقبَه بالتَّذكيرِ بما بعدَ ذلك الزَّوالِ، بتصويرِ حالِ البعث وما يترقَّبُهم فيه مِنَ العقاب على كفرِهم به"[2]، والمقصودُ مِن إظهارِ أحوالِ القيامة بعدَ بيان خساسةِ الدُّنيا، الرَّدُّ على المشركين الذي افتَخروا على فقراءِ المسلمين بكثرة الأموالِ والأعوانِ[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُسَيِّرُ﴾: (سير) أَصْلٌ يَدُلُّ على مُضيٍّ وجَرَيانٍ، يُقالُ: سارَ يَسيرُ سَيْرًا[4]، والسَّيْرُ: الذَّهابُ والمضيُّ في الأرض، وتَسايَرَ عَنْهُ الغَضَبُ، أَي: سارَ وزالَ، ويُقالُ: سارَ القومُ يَسيرون سَيْرًا ومَسيرًا؛ إذا امتَدَّ بهِمُ السَّيْرُ في جِهَةٍ تَوَجَّهوا لَها[5]، والتَّسْييرُ ضربان: أحدُهما: بالأمر والاختيارِ والإرادةِ منَ السّائر، نحو: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ [يونس: 22]، والثّاني: بالقهر والتَّسخير كتسخير الجبالِ، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التّكوير: 3]، وقولِه: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النّبأ: 20][6]، والمرادُ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 186، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 528.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 334.
(3) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 469.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سير).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (سير).
(6) الرّاغب، المفردات: (سار).

بتسييرها: أنَّه يُسيّرُها حتّى تنتقلَ عن مكانها، لما فيه من ظهور الآيةِ وعِظم الاعتبار، أو بأن يجعلَها هباءً منثورًا[1].

2) ﴿بَارِزَةً﴾: (برز) أَصْلٌ يدلُّ على ظُهورِ الشَّيْءِ وبُدوِّهِ، يُقالُ: بَرَزَ الشَّيْءُ، فهو بارِزٌ[2]، وبَرَزَ: حصلَ في بَراز، نحو: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾؛ تنبيهًا على أَنَّهُ تبطُلُ فيها الأبنيةُ وسكّانُها[3]، والبَرازُ: المَكانُ الفَضاء مِنَ الأَرض، البعيدُ الواسعُ، وإذا خَرَجَ الإنسان إلى ذَلِكَ المَوْضِعِ؛ قيلَ: قَدْ بَرَزَ يَبْرُزُ بُروزًا، أَي: خَرَجَ إلى البَرازِ، والبَرازُ: المَوْضِعُ الَّذي لَيْسَ به خَمَرٌ مِنْ شَجَرٍ ولا غَيْرِهِ[4]، والمرادُ به في الآية الكريمةِ أنَّ الأرض "لا غارٌ فيها ولا صدعٌ ولا جبلٌ ولا نبتٌ ولا شجرٌ ولا ظِلٌّ"[5].

3) ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: (حشر) هو السّوقُ والبَعْثُ والانْبِعاثُ، والحَشْرُ: الجَمعُ مع سَوْقٍ، وكُلُّ جَمعٍ حَشْرٌ[6]، وحَشَرَهُم يَحْشُرُهم ويَحْشِرُهم حَشْرًا: جَمَعَهُم، ومِنْهُ يَوْمُ المَحْشَرِ، والحَشْرُ: جَمعُ النّاسِ يَوْمَ القيامَةِ، والمَحْشَرُ: المَجْمَعُ الَّذي يُحْشَرُ إليه القَوْمُ، وكَذلِكَ إذا حُشِروا إلى بَلَدٍ أو مُعَسْكَر أَو نَحْوِهِ[7]، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾، أي: جمعْناهم، وقيل: الحشرُ: إخراجُ الجماعة عن مقرِّهم، وإزعاجُهم عند الحرب وغيرِها[8]، والمعنى في الآية: جمعْناهم إلى الموقف[9].

4) ﴿نُغَادِرْ﴾: (غدر) أَصْلٌ يَدُلُّ على تَرْكِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ الغَدْرُ: نَقْضُ العَهْدِ وتَرْكُ الوَفاءِ بِهِ[10]، والغَدْرُ: الإخلالُ بالشَّيء وتركُه، والغَدْرُ يقال لترك العهد، ومنه قيل: فلانٌ غادِرٌ، وجمعُه: غَدَرَةٌ، وغُدّارٌ: كثير الغَدْرِ، والغَديرُ: الماء الذي يُغادِرُهُ السَّيلُ في مستنقعٍ ينتهي إليه، والغَديرَةُ: الشَّعْرُ الذي تُرِك حتّى طال، وجمعُها غَدائِرُ، وغادَرَهُ: تركَه، قال

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 3/ 311.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برز).
(3) الرّاغب، المفردات: (برز).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (برز).
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 71.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حشر).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (حشر).
(8) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (حشر).
(9) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 726.
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غدر).

تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾، وقال: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[1]، والمرادُ به في الآية الكريمةِ: (لم نترُكْ)[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّذكيرُ بأهوالِ يومِ القيامةِ

يُذكِّرُ النَّظمُ الجليل العقلاءَ منَ النّاس، حاثًّا لهم على الاعتبارِ والاتِّعاظ، أنَّهم سيَرَوْن أهوالًا عظيمةً مِن أهوال يومِ القيامة في ذلك اليوم، الذي نقتلعُ فيه الجبالَ من أماكنِها، ونذهبُ بها حيثُ شئنا، ونجعلُها هباءً منثورًا، فيرى كلُّ أحدٍ مِنَ الخلائقِ جوانبَ الأرض باديةً ظاهرةً للأعين، لا يسترُها شيءٌ مِن جبلٍ، أو شجرٍ، أو بنيانٍ، وكنّا قد حشرنا الخلائقَ جميعًا، بأن جمعْناهم في المكان المحدَّدِ لجمعِهم، دون أن نتركَ منهم أحدًا، بل أخرجْناهم جميعًا مِن قبورِهم لنحاسبَهم على أعمالِهم[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في مُفتتح الآيةِ:

عطفُ الجملةِ على الجملةِ

عطفَ النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ على الجملةِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: 45]، والتَّقديرُ: (واضرب لهم مثلَ الحياةِ الدُّنيا، واذكرْ يومَ نُسيّرُ الجبالَ)، فبعدَ أنْ بيَّن أنَّ ما هم فيه من نعيم بأنَّهُ يؤولُ إلى زوال؛ ذكر لهم ما بعدَ زوال تلك النِّعمةِ، مُصوِّرًا البعثَ وما ينتظرُهم فيه مِنَ العقاب على كفرِهم به[4].

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ:

تصويرُ المشهدِ أبلغُ في بيانِ الأهوالِ

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارعِ في قوله جلَّ شأنُه:

(1) الرّاغب، المفردات: (غدر).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 226.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 528 - 529، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 16/ 386.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 334.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ للدَّلالة على تصوير المشهدِ، واستجلابِ الصّورة، فيستحضر السّامعُ في ذهنه صورةَ تسْييرِ الجبال، وفي ذلك منَ التَّهويل ما يناسبُ مقامَ التَّرهيب والتَّذكيرِ، كما أنَّ التَّعبيرَ بالمضارع عن حَدَثٍ في المستقبل أنسبُ للإخبار عنِ الحقيقةِ.

دلالةُ تقديمِ الظَّرفِ:

يـــومُ حـسـابِ المجرمين مَهولٌ

قدَّم النَّظمُ الجليل الظَّرفَ ﴿وَيَوْمَ﴾ مُفتتِحًا الجملةَ به، في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾، فهو منصوبٌ بفعلٍ محذوفٍ يُقدَّرُ بما يناسبُ مقامَ الوعيد، مثل: (يَرون أمرًا عظيمًا يومَ نسيِّرُ الجبالَ)، أو نحو ذلك ممّا تذهبُ إلى تقديره نفسُ السّامع، ويجوزُ أن يُقدَّرَ المحذوفُ متأخِّرًا عنِ الظَّرف، أي: ويومَ نسيِّرُ الجبالَ ترى أمرًا عظيمًا، ويكونُ غرضُ التَّقديم تهويلَ اليومِ وما فيه[1]، فالبَدءُ باليوم الذي ستقعُ فيه تلك الأهوالُ وعقابُ المجرمين فيه، تهويلٌ له وتفخيمٌ لشأنه، فاليومُ جامعٌ لكلِّ الأحداثِ التي تقع فيه، فابتداءُ الجملة باليوم يُهيِّئُ الذِّهنَ لاستقبال المذكور بعدَه مِنَ الأهوالِ والأحداثِ العظامِ.

تَوجيهُ القراءاتِ في فعلِ التَّسْيير:

لا يقعُ حَدثٌ في الكون إلّا بإرادتِه تعالى وأمرِه

قرأ ابنُ كثير وأبو عمرو وابنُ عامر ﴿تُسَيَّرُ﴾ على البناء لما لم يُسمَّ فاعلُه، ورفع ﴿ٱلْجِبَالُ﴾ بإسناد ﴿تُسَيَّرُ﴾، اعتبارًا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [التكوير: 3] جريًا على سَنن الكبرياءِ، وإيذانًا بالاستغناء عنِ الإسناد إلى الفاعل لتعيُّنه، والباقون ﴿نُسَيِّرُ﴾ بإسناد فعْلِ التَّسيير إلى الله تعالى، ونصْبِ ﴿ٱلْجِبَالَ﴾؛ لكونه مفعولَ ﴿نُسَيِّرُ﴾، والمعنى: نحن نفعل بها ذلك؛ اعتبارًا بقوله: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 334.
(2) ابن الجزريّ، النّشر: 2/ 311، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 520، والفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 469، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 226.

دلالةُ العطفِ في قولِهِ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ﴾:

عطفَ النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ على الجملةِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾؛ لأنَّه بيانٌ لحالٍ ثانيةٍ مِن أحوالِ يومِ القيامة وأهوالِه[1]، فتسْييرُ الجبالِ حالٌ مِن أحوالِ يومِ القيامة، وبُروزُ الأرضِ مستويةً بحيثُ لا يُرى فيها عوجٌ حالٌ آخرُ يعقبُ تسْييرَ تلك الجبالِ، ونتيجةٌ له.

بـــروزُ الأرضِ ونسفُ الجبالِ أهـــوالٌ عِـظـامٌ من أهـوالِ ذلك اليومِ العظيمِ

المرادُ بالخطاب في ﴿وَتَرَى﴾:

بنَى النَّظمُ الجليل الخطابَ في الآية في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ خطابًا لكلِّ سامعٍ، فهو خطابٌ لغير معيَّنٍ، والمعنى: ويرى الرّائي، وهو نظيرُ قوله الآتي: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾[2]، فالمرادُ: تصويرُ ذلك اليومِ العظيمِ لكلِّ أحدٍ منَ النّاس، وذلك المشهدُ في ذلك اليوم سيراه كلُّ حاضرٍ في الحشر.

يـرى الـخلائـقُ جـمـيـعًـا حـالَ المُجرمين في ذلك اليومِ

الغرضُ من تنكير ﴿بَارِزَةً﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الجليل عن بُروز الأرضِ بالتَّنكير دون التَّعريفِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾؛ لأنَّها حالٌ، فالرُّؤية هنا بصريَّةٌ[3]، ولم يقل: (الأرضَ البارزةَ)؛ إذ لو عرَّفها؛ لكانت صفةً للأرض، وهذا يعني أنَّها متَّصفةٌ بذلك، والحالُ ليس كذلك، فهي قد برزت لخُلوِّها منَ الجبال والأشجار وغيرِها، بفعلِ يومِ القيامة وتسْييرِ الجبال، فلمّا جعلَها نكرةً؛ دلَّت على الحالِ والهيئة، أي: إنَّك تراها في حالةٍ قد آلت فيها إلى خلاءٍ، مستويةً لا يسترها جبلٌ ولا نباتٌ[4]، ويدلُّ التَّنكيرُ هاهنا على شدَّةِ البُروز.

الـــبُروزُ حـالٌ طـــارئـــةٌ عـلى الأرضِ لا صفةٌ راسخةٌ فيها

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 529.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 335.
(3) السّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 7/ 503.
(4) الماورديّ، النّكت والعيون: 3/ 311.

دلالةُ الواو في ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾، وسِرُّ التَّعبير بالماضي:

وقـوعُ الحشرِ مؤكَّدٌ محقَّقٌ، حتّى كأنَّه حدثَ ومضَى

بيَّن النَّظمُ الجليل حالَ الفاعل بالجملة الفعليَّةِ التي جاءت في موضع الحالِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: وقد حشرناهم[1]، وهذه الحالُ تبيِّنُ صورةً ثالثةً من صوَرِ أهوالِ يوم القيامةِ، أي: يقع التَّسييرُ في حالة حشرِهم[2]، وأجاز بعضُ أئمَّةِ التَّفسيرِ أن تكونَ الجملةُ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ معطوفةً على الجملة في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ على تأويل الفعلِ الماضي بـ (نحشرهم) المضارع[3]، ولكنَّ النظمَ الجليل عدل عنِ التَّعبير بالفعل المضارعِ عن حدثٍ مستقبليٍّ، إلى التَّعبيرِ عنه بالفعل الماضي في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، وقد سُبق بالفعلَين المضارعَين ﴿نُسَيِّرُ﴾، ﴿وَتَرَى﴾؛ وذلك للدَّلالة على تحقُّقِ الحشْرِ المُتفرِّعِ على البعث[4]، كما أنَّه يدلُّ على أنَّ الحشرَ قد حدث قبل التَّسيير والبروز؛ ليُعاينوا تلك الأهوالَ العظيمةَ، كأنَّه قيل: وقد حشرناهم قبلَ ذلك[5].

في استحضارِ أهوالِ السّاعةِ عجبٌ وحسرةٌ

وخولِف بين التَّسيير والرُّؤية وبين الحشر، حيث جيء بهما مضارعَين، وجيء بالحشر ماضيًا، ليُشعرَ بصيغة المضارع بأنَّ المرادَ استحضارُ تلك الصّورةِ العجيبةِ الشَّأن في مشاهدة السّامعِ؛ ليتعجَّبَ لها، ولو قيل: (نحشرهم) على مقتضى الظّاهر؛ لفات المقصود[6]، وفي استحضارها حسرةٌ للمجرم الجاحدِ، وصدمةٌ بتحقُّقِ الوعد، وعجبٌ أيَّما عجبٍ.

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 200.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 187.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 335.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 226.
(5) الزّمخشري، الكشّاف: 2/ 726.
(6) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 9/ 490.

دلالةُ إسنادِ الفعْلِ للضَّميرِ الدّالِّ على التَّعظيمِ:

حشْرُ الخلائقِ جميعًا أمرٌ محفوفٌ بالعظائمِ

أسند النَّظمُ الجليل فعْلَ الحشرِ إلى نون التَّعظيم في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾؛ للدَّلالة على التَّعظيمِ في ذلك الحشرِ وما يتبعُه، من نشرِ صحائفَ وحسابٍ، أي: حشرنا "الخلائقَ بعظمتِنا قبلَ التَّسيير بتلك الصَّيحةِ، قهرًا إلى الموقفِ الذي تنكشفُ فيه المُخبَّآتُ، وتظهرُ الفضائحُ والمُغيَّباتُ، ويقعُ الحسابُ فيه على النَّقيرِ والقِطمير"[1]، وكلُّ هذا يُشيرُ إلى أنَّه حشرٌ عظيمٌ في ذاته، وعظيمٌ فيما يقعُ فيه وبعدَه.

إيثارُ لفظِ (الحشر):

في يوم الحشرِ يجتمعُ الضّالُّ والمُضِلُّ مُجْبَرَين غيرَ مُختارَين

في قولِه تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ "عبَّرَ سبحانه بالفعلِ (حشر) للإشارةِ إلى جمعِهم غيرَ مُريدين، أو مُختارين، وأنَّهم جميعًا مُتلاقون، الضّالونَ والمُضِلّون، وأنَّهم بعد ذلك يُعرَضون على ربِّهم"[2].

دلالةُ العطفِ بالفاءِ:

انتفاءُ تَرْكِ أحدٍ يومَ الحسابِ مُترتِّبٌ على الإخبارِ بجَمعِهم يومَ القيامة

عطفَ النَّظمُ الجليل في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ على قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾[3]؛ إذ لمّا أثبتَ الحشرَ الدّالَّ على جمع النّاس جميعًا بما دلَّ عليه ضميرُ الغائب بصيغةِ الجمع؛ أتْبعَه بنفي تَرْكِ واحدٍ منهم دونَ أن يُحشرَ، وجاء العطفُ بالفاء للدَّلالة على ترتُّبِ انتفاءِ التَّركِ على شمول الجمعِ لكلِّ أحدٍ؛ تأكيدًا وتقويةً لدلالة الحشْرِ على الشُّمول.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ المَنفيِّ بـ﴿فَلَمْ﴾:

عدمُ مغادرةِ أحدٍ منهم أمرٌ مقطوعٌ به مُؤكَّدٌ

آثَرَ النَّظمُ الكريم نفيَ الفعلِ المضارع بحرف النَّفي ﴿فَلَمْ﴾ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾؛ لدلالتِه على

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 71.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4540.
(3) مجموعة من المؤلّفين، إعراب القرآن الكريم: 3/ 1312.

النَّفي والقلبِ، فهو يقلبُ زمانَ الفعل المضارع إلى الماضي، فيكونُ النَّفيُ بـ(لم) دالًّا على القطع باعتبارِ دلالته على الزَّمان الماضي، فلمّا عطفَه على الفعل الماضي في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾؛ ناسبَ أن ينفيَ الزَّمنَ الماضي على جهة القطع؛ تقويةً للتَّأكيدِ المُتحصَّلِ عليه بالعطفِ.

الغرضُ مِن إسنادِ الفعلِ لضميرِ العَظَمةِ في ﴿نُغَادِرْ﴾:

دِقّــةُ الجمعِ ناشئةٌ مِن عَظَمةِ الجليلِ

عبَّرَ النَّظمُ الجليل عنِ المغادرة بالفعلِ المضارع بصيغة التَّعظيم في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، أي: لم نُغادرْ منهم أحدًا بما لنا منَ العَظَمةِ[1]، بحيثُ لا يغيبُ أحدٌ عن ذلك المَحشَرِ؛ لعلْمِ اللّه تعالى بكلِّ واحدٍ مِنَ الخلائق، وهذا كلُّه يقتضي التَّعبيرَ بالعَظَمةِ.

الغرضُ مِن تقديمِ الجارِّ والمَجرور ﴿مِنْهُمْ﴾ على المفعولِ به:

تقديمُ متعلَّقِ المُغادرةِ أدلُّ على الاهتمامِ به

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملةِ منَ الجارِّ والمجرور على المفعول به في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، دون أن يقولَ على أصل ترتيب الكلام: (فلم نغادر أحدًا منهم)؛ فإنَّ تقديمَ شبه الجملة المتضمِّنةِ ضميرَهم على المفعول به يدلُّ على الاهتمام بشأنِهم، بمعنى أنَّ المُغادرةَ التي سيقَ الحديثُ عنها متعلِّقةٌ بأبعاضِهم.

دَلالةُ التَّعبيرِ بالمفعولِ به بلفظِ ﴿أَحَدًا﴾ مُنكَّرًا:

الحشرُ عامٌّ لجميعِ البشرِ لا يغيبُ عنه أحدٌ

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بصيغة التَّنكيرِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾؛ للدَّلالة على عموم النَّفي والاستغراقِ فيه، لوقوعِ النَّكرةِ في حيِّزِ النَّفي، فيَشملُ كلَّ أحدٍ منَ الأوَّلين والآخرين، دليلًا على سَعة علمِه وإحاطتِه بهم، ونفيًا لعجزِه عن ذلك[2].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 71.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 71.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المغادرة والتَّرك:

التَّركُ أصلُهُ التَّخْليَةُ عَنِ الشَّيْءِ[1]، وتَرْكُ الشَّيء: رَفْضُه قصدًا واختيارًا، أو قهرًا واضطرارًا، فمنَ الأوَّل: ﴿*وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: 99]، ومنَ الثّاني: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ﴾ [الدّخان: 25]، ومنه: تَرِكَةُ فلانٍ لما يُخلِّفه بعدَ موتِه، وقد يقال في كلِّ فعلٍ ينتهي به إلى حالة ما: تركتُه كذا، أو يجري مجرَى: جعلتُه كذا، نحو: تركتُ فلانًا وحيدًا[2].

الـتَّركُ مطلقٌ، والمغادرة أخصُّ منه، فهي تركٌ بإخلال

أمّا المغادرةُ؛ ففيها دلالةٌ على التَّرك الذي يدلُّ على الإخلال؛ لذلك قيل لترك الوفاء، ونقضِ العهد غدرٌ[3]، فالغَدْرُ الإخلالُ بالشَّيء وتركُه[4].

فآثرَ في الآية التَّعبيرَ بالفعل ﴿نُغَادِرُ﴾ للدَّلالة على أنَّه لا يتركُ شيئًا يُسبِّبُ إخلالًا في تقييدِ الأعمال، فنفْيُ المغادرةِ دليلٌ على الإتقان.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ترك).
(2) الرّاغب، المفردات: (ترك).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غدر).
(4) الرّاغب، المفردات: (غدر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»